مادة اختيارية/لغة

التحليل اللغوي

م.م. عليا أحمد باليساني

إذا أردنا أن نتكلم عن "التحليل اللغوي" فمن الجدير أن ننتبه جميعًا إلى ثلاثة منطلقات رئيسة يجب على من يقوم بالدخول إلى النص بهذا النوع من التحاليل أن يكون على وعيٍ بها:

أولاً :لا يجب أن يكون المبدع أو منشئ النص الأدبي على علم بقواعد" التحليل اللغوي " التي يستخدمها المحلِّل أو حتى قواعد اللغة التي تحكم نصه فمرحلة الإحاطة بالقواعد أو مرحلة إصدار الأحكام مرحلةٌ تالية على مرحلة الإبداع ذاتها.

ثانيًا :إن" التحليل اللغوي "هو أداة مثل أيِّ أداة للدخول إلى الجانب غير المرئي من النص الأدبي، تحلله وتفصله، وتعيد تركيبه لتَسْتَكْنِهَ مَاهِيَّتَه، وهذه الأداة – في الحقيقة – أداة وهْمية، ليست لها أي صفة في الحقيقة كالساحر الذي يُقطِّع جسم صاحبه على المسرح إلى قسمين فما يلبث هذا الصاحب حتى يقف محيِّيًا جمهورَه كاملاً غير منقوص وكَأنْ لم يحدث فيه أيُّ خدْش.

ثالثًا :إن اللغة التي نستخدمها في" التحليل اللغوي "تختلف بالضرورة عن اللغة التي يستخدمها مُنشِئ النص" فلغة المبدع فِطرية، وهي الموضوع Object-language، وتعتبر لغة التحليل لغة علمية علويةMeta-language [٥]، وهذا لا يعني أن تكون لغة التحليل أضعف من اللغة المستخدمة في النص" وإلا لا يعقل أن تكون لغة النص جزلة وتتمتع بقدر كبير من الفصاحة، ولغة التحليل ركيكة هشة

التحليل في اللغة:

هو مصدر قياسي على زنة (تفعيل) من الفعل الثلاثي المزيد (حلّل– يحلّل) الذي يعود الى الفعل الثلاثي (حلّل) وحلّ الشيء أي فتحه وفكه. قال تعالى: "وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي" طه:

٢٧ . ويقول ابن فارس (الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل، واصلها كلها عندي فتح الشيء، لا يشذّ عنه شيء يقال حلْلت العقدة أحلُّها حلاً) أي اذا فتحتها. ومثله في المعجم الوسيط إذ يقول: وحلل (الشيء رجعه الى عناصره.

التحليل في الاصطلاح:

هو إرجاع الجملة الى عناصرها وبيان أجزائها المكونة لها ووظيفة كل منها والتعرف على انواع العلاقات بين مفرداتها مع بقاء الكلمات نفسها في الجمل او الجمل الاخرى .فالتحليل هو رد الشيء الى عناصره الأساسية (الأولية)، أي رده الى أصله، فهو تحليل القضايا الى عناصرها المكونة.

يقصد بالتحليل اللغوي تفكيك الظاهرة اللغوية إلى عناصرها الأولية التي تتألف منها، وتتنوع طرق التحليل اللغوي تبعا لتنوع المستوى اللغوي الذي تنتمي إليه الظاهرة اللغوية المراد تحليلها إلى المستوى الصوتي أو التحليلي أو النحوي أو الصرفي، فتحليل الظاهرة التي تنتمي إلى المستوى الصرفي مثلا يختلف عن تحليل الظاهرة التي تنتمي إلى أحد المستويات اللغوية

المفهوم اللغوي لكلمة "نص":

النص في "لسان العرب" هو اقصى الشيء وغايته، ومنه نص الناقة أي استخرج أقصى سيرها. ونص الشيء منتهاه.

المفهوم الاصطلاحي للنص:

ان المفهوم الاصطلاحي لكلمة :نص" مفهوم حديث في الفكر العربي المعاصر.

فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض.

هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو مانطلق عليه مصطلح (نص) فالنص هو النسيج لما فيه من تسلسلفي الافكار وتوالٍ للكلمات.

الأصول العامة لتحليل نص (قرآني أو أدبي)

لا بدّ للباحث المحلل للنص من اعتماد أصول عامّة منوّعة، تعينه على فهم النص فهمًا دقيقًا شاملاً، يتناول أطُرَه المختلفة وصوره المتعددة، بما فيها من معان وجمال وأساليب.

ويمكن إجمال هذه الأصول العامّة بما يأتي:

(١)وجوب فهم النص المراد تحليله فهمًا جيّدًا أوّلاً، في ضوء كتب التفسير ومعاني القرآن، وكتب مفردات القرآن، والوجوه والنظائر في القرآن واعجازه إن كان نصا قرآنيا، وكتب البلاغة،وكتب الأدب وتراجم الأدباء وحياتهم إن كان نصا أدبيا.

(٢)في النص القرآني معرفة أسباب النزول ومعرفة نوع السورة (المكي والمدني) " إذ إنّ أسلوب السُّوَر المكية يختلف في كثير من الأحيان عن أسلوب السُّوَر المدنية، في صفات وخصائص عدّة، من حيث إنّ المكية تُعنى قبل كل شيء بأصول العقيدة الإسلامية: من توحيد الله تعالى، وإيمان بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، وما يتعلق به من بعث ونشور، وما إلى ذلك. على حين تُعنى السُّوَر المدنية كثيرًا بالتشريع والأحكام، وبالجوانب الاقتصادية، كالزكاة والخمُس والصدقات والدِّيات والكفّارات والإرث، وما إليها. هذا إلى جانب عنايتها بالنواحي العبادية العملية: من صلاة وصوم وحجّ وعمرة ونذور... كما تُعنى هذه السُّوَر بالقضايا الاجتماعية: من زواج وطلاق وعِدّة وصداق، وما إليها.

ومن علوم القرآن (الْمُحْكَم والمتشابه) (الناسخ والمنسوخ) من نصوص القرآن" لئلاّ يقع في وَهْم الأخذ بما هو منسوخ من الآيات، ولاسيما ما يتعلق منها بالتشريع" إذ لا خلاف بين أهل العلم في أنّ المنسوخ لا يجوز العمل به، بل يعمل بالناسخ له.

(٣)دراسة النص المراد تحليله من جانبه اللغوي، بحيث يتناول المحلل ابتداء بتفسير (الألفاظ الغريبة) ، وهي الألفاظ التي تحتاج إلى شرح وبيان، وهو ما يعرف الاصطلاح.

(٤)ملاحظة أثر النص القرآني الكريم في دقة استعمال غريب الألفاظ، كاستعمال (المائدة) للخُوان الذي عليه طعام، وإلاّ سُمِّي) (خوانًا) ولم يُسمَّ (مائدة) كما في قوله – عز وجل– على لسان عيسى – عليه السلام -: ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ المائدة ١١٤﴾. ومثله استعمال (صكٌّ) للضرب الشديد، بدل (ضرب)،كما في قوله تعالى: ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾، في قصة امرأة إبراهيم – عليه السلام، مستغربة بذلك ومتعجبة من خبر حملها بولد، وهي عجوز عقيم، وغير ذلك من استعمالات دقيقة في تعبير القرآن.

(٥)الإشارة إلى اللهجات العربية، ذات الصلة بالنص القرآني أو الأدبي المراد تحليله وربطه قدر الإمكان بالمعنى المراد، وبالبيئة العربية القديمة التي نطق بها، كالحجاز ونجد، وتهامة، واليمن، وما إليها. وذلك نحو تسهيل الهمز أو تحقيقه، والإمالة، والمدّ والقصر، ونحوها من لهجات.[٢]

(٦)بيان ماهية دلالة اللفظ أو التركيب، إن كانت أصلية، أم إسلامية، أم عبرية أم أجنبية تأثرت بلغات أخرى إثر الغزوات والمعارك والفتوحات الإسلامية، كالزكاة، فإنّ في أصل اللغة: النماء والزيادة" إذ يقال: زكاة الزرعُ: إذا كثُر ونما. ثم استعملت في القرآن والحديث للدلالة على مال معيّن معلوم، يُدفَع إلى بيت مال المسلمين عند توفّر الشروط بالمال" إذ ينبغي أن يبلغ أصل المال مقدارًا مُعيَّنًا يسمى (النصاب) كي تؤخذ منه الزكاة. ومثلها (الربا) " إذ أصله الزيادة من ربا يربو: إذا زاد، ثم استعمل في الاصطلاح الإسلامي، للمال الذي يؤخذ زائدًا على القرض، وهو ما حرّمه الإسلام بنص القرآن والحديث بشِدّة. وغيرها من الكلمات.

(٧)ملاحظة العلاقات الدلالية بين الألفاظ التي في النص المراد تحليله، مثل (الاشتراك)، و(التضادّ) و(التقابل) بنوعيه: تقابل الضد والنقيض، وتقابل الخلاف، وكذلك علاقة (الترادف)، سواء أكان

ترادفًا تامًّا، كما بين (البعل) و(الزّوج)، أم ترادفًا غير تامّ، كما بين (اليمين) و(الحِلْف)، و (الرُّؤيا) و(الحُلُم)، وغير ذلك.

(٨)بيان الدلالة الإيحائية للألفاظ والتراكيب والتعابيرالنصية، وهي الدلالة التي يسمّيها المعاصرون (الإضافية)، أو(ظل المعنى) وهي من الدلالات ذات القيمة المعنوية العالية الدقيقة في التعبير النصي، كإيحاء (البَغْتة)، فإنه لا يستعمل في القرآن إلاّ في سياق (العذاب) ومثله الإيحاء الصوتي متمثّلاً بجرس اللفظ، كما في (هزّ) و(أَزَّ)" إذ استعمل القرآن الأول لهزِّ النخلة، على حين استعمل الثاني لهزِّ الشياطين للكافرين" عقوبة من الله تعالى لهم على كفرهم.

(٩)بيان (لدلالة الرمزية) في النص، بصورها المتعددة،كرموز (الألوان) من بياض، وسواد، وخُضرة، وصُفرة، وزُرقة، بحسب ما ترمز إليه لدى العرب قبل الاسلام وبعده، وكذلك رموز الحركات، كالعضّ على اليدين، وتقليب الكفَّين –في الرمز على الندم–، ورموز الأصوات عن مختلف الحالات النفسية، كالتأوُّه (آهٍ)، والتأفُّف (أُفّ)، في التعبير عن التحسُّر والتضجُّر، وما إلى ذلك من رموز صوتية.

(١٠)بيان القرائن الدلالية (الثلاث) :اللفظية، (السياقية وغير السياقية)، والحالية Context" (والعقلية وهي التي سمّاها اللغوي المعاصر الشهيرجومسكي Competenc" أي القُدرة.

(١١)التأمّل في التراكيب المختلفة للنص المراد تحليله من (جانبها النحوي)، من اسمية، وفعلية، وحرفية، وظرفية، وما إليها، مع بيان علاقة ورودها بصورة أو أخرى –في هذه الصور– بالمعنى المراد التعبير عنه.

(١٢)الكشف عن (وجوه الصَّرْف)، وعلاقتها بالمعنى، ولاسيما ما يتعلق منها بالصيغ، كصيغ (الأفعال)، مثل دلالة(فعل)على مجرّد حدوث الفعل لمرة، و(فَعَّ) على التكثير والتكرير،

و(فاعَلَ) على المشاركة، وكذلك الصيغ الأخرى، مثل (فَعْلَلَ)، و(اسْتَفْعَلَ) وغيرها من الصيغ" إذ لها دلالات معيّنة، كالدلالة على الاضطراب والحركة الشديدة للأولى، وطلب الشيء للثانية، وكذلك صيغ (الأسماء)، مثل (فَعِلٌ) للدلالة على المبالغة، و(فَعُولٌ) كذلك، و(فَعّال) للتكثير... وغيرها من صيغ ذات دلالات معيّنة.

(١٣)بيان العلاقة بين (زيادة المبنى) و(زيادة المعنى)، كما بين (خَرْج) و(خراج) و(صَرَّ) و(صَرْصَرُ)" إذ الثانية منهما أبلغ من الأولى في المعنى، ولهذا قال سبحانه وتعالى مخاطبا النبي– صلى الله عليه وسلم :﴿ أَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ﴿المؤمنون: ٧٢﴾، فأضاف الأكثر والأعظم إليه سبحانه وهو (الخراج) دون الخرج.

(١٤)بيان (العلاقة الدلالية) بين الألفاظ والتراكيب في السياقات التعبيرية المختلفة، وفي السياق الواحد، من نواح متعددة، مثل (الإبهام) و(البيان) في سياقين مختلفين ومتباعدين، كقوله تعالى في: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾النبأ: ١٢،﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ فأبهم في النص الأول بقوله :﴿ سَبْعًا شِدَادًا ﴾، ثم بيّن في النص الثاني ماهية السبع الشِّداد هذه، بأنها ﴿ سبْع سموات ﴾.

ومن هذا النوع المتعلق بالعلاقات الدلالية بين الألفاظ، علاقة (الإبهام)، ثم (البيان القائم على التفصيل) في سياق واحد متصل، كقوله تعالى في صفة فريق من المؤمنين:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ *كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ *وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ *وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ ﴿الذاريات: ١٦–١٩﴾" إذ أبهم التعبير الكريم عملهم الصالح أوّلاً، مكتفيًا بوصفهم بأنهم كانوا محسنين في دنياهم قبل أن يقفوا بين يدي الله تعالى للحساب، ثم فصَّل في السياق بعده مباشرة، ماهية هذا الإحسان بثلاث صفات هي أنهم:

أوّلاً :كانوا يسهرون أكثر الليل في الصلاة، وذكر الله، وتلاوة القرآن.

وثانيًا :أنهم كانوا في أوقات السَّحَر، أي قبيل الفجر، يستغفرون الله تعالى.

وثالثًا :أنهم يجعلون جزءًا من أموالهم للفقراء والمساكين، بحسب ما تمليه شريعة ربّ العالمين.

ومن هذا النوع المتعلق بالعلاقات الدلالية بين الألفاظ والتراكيب في السياقات، عطف العامّ على الخاصّ، كعطف (كُلّ الثمرات) على ما تقدّمه، وهو ﴿ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ ومن كلِّ الثمرات﴾النحل: ١١

(١٥)مراعاة الجانب النفسي في الخطاب القرآني، كالترقيق في مخاطبة لقمان لابنه وهو ينصحه بقوله: (يُبَنَيَّ) التي تُشعر بالحنان البالغ، وروح التحبُّب، التي أنبأ عنها هذا التصغير للفظة (ابن)، توخِّيًا للتأثير في هذا المتلقِّي الحبيب. وكذلك (يَأَبَتِ) في خطاب إبراهيم لأبيه، وهو يدعوه إلى التوحيد ونبذ الشِّرْك، وقول هارون لأخيه موسى حين عبد بنو إسرائيل العِجْل في غياب موسى (يَبْنَؤُمَّ) دفعًا لغضبه عليه، ولم يقل له (يا ابن أبي) أو (يا ابن والدي) مثلاً" وذلك لما في ذِكْر الأمّ هنا من أثر في نفس المتلقِّي، وهو موسى، منبعث من رِقّتها وحنانها على أولادها بكثرة. وهذا ونظائره من رائع ما عبّر به القرآن، مراعيًا الجانب النفسي فيه.

(١٦)ملاحظة النسق التعبيري في القرآن، ومحاولة فهمه وتحليله، كتقديم لفظ على آخر، كتقديم اليمين على الشمال في قوله – عز وجل :-﴿ وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ ﴾، ثم قوله بعد آيات ﴿ وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ ﴾ الواقعة: ٢٧–٤١" إذ (أصحاب اليمين) هم أهل الجنّة والنّعيم، في حين أنّ (أصحاب الشِّمال) هم أهل النّار والجحيم. وقد سمّى التعبير القرآني الفريق الأوّل (أَصْحَبُ الميْمَنَةِ)، وسمّى الفريق الثاني (أَصْحَبُ المشْئَمَةِ) وهذا مبنيّ على التفاؤل والتشاؤم في عادات العرب" إذ كانوا يتفاءلون باليمين، ويتشاءمون بالشمال. وبقي هذا في العُرْف الاجتماعي الذي تجلّى كذلك في التعبير القرآني، سائدًا في حياة المسلمين. فكانوا يتيامنون في كل عمل، كالأكل باليمين، وتناول الشيء وغير ذلك. وقد أكد ذلك الحديث الشريف، إذ كان – صلي الله عليه وسلم– يحثّ على التيامن، كالأكل باليمين، والتختُّم باليمين، والصبّ عند الاغتسال باليمين.

(١٧) بين الفنّ التعبيري بظاهرة (التشخيص الفني) التي تضفي على الشيء المتحدَّث عنه (صفة الإنسانية)، وهي البشرية، كتشخيص عدد من عناصر الطبيعة (الصامتة)، مثل الشمس والقمر والكواكب، في رؤيا نبيّ الله يوسف –عليه السلام– " ﴿ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ ﴿يوسف: ٤﴾. ومنه تشخيص الطبيعة (الحية)، كتشخيص النملة في خطابها للنمل الذي معها، بقوله تعالى :﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ ﴾ فقالت بصيغة جمع العقلاء (ادخلوا)، ولم تقل في هذا الخطاب التشخيصي ما لا يدلّ على ذلك. ."ونبّه عليه الزمخشري) ت ٥٣٧هـ)، مجلّيًا ظاهرة التشخيص في آية السجود بقوله: "...فلِمَ أُجرِيَتْ مجرى العقلاء في ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِينَ ﴾؟ وأجاب عن ذلك بقوله: "لَمّا وصفوه بما هو خاصّ بالعقلاء وهو السجود، أجرى عليه حُكمَهُ، كأنها عاقلة". ثم وصف الزمخشري هذا اللون من التعبير بأنه "كثير شائع "في كلام العرب.

(١٨)بيان الفنّ التعبيري بظاهرة (التجسيم الفنّي)، سواء أكان تجسيمًا للحسِّيات –أي ما يدرك بإحدى الحواسّ– كالليل والنهار والصبح، أم كان تجسيمًا للمعنويات، عقلية كانت كالحق والباطل، أم نفسية، كالرُّعْب والخوف. فمن الأول قوله : ﴿ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجَ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ ﴾ ﴿فاطر: ١٣﴾، أي: يُدخل أحدَهما في الآخر، فيكون بهذا وذاك نهارًا تارة وليلاً تارة أخرى. وهذا ضرب مما نسمِّيه (تجسيم الزمان)
ومن الثاني وهو المتعلق بتجسيم المعنوي، قوله تعالى:﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ﴿الأنبياء: ١٨﴾، فجعل الحق –وهو معنويّ– جسمًا ثقيلاً مقذوفًا على الباطل، الذي صوّره التعبير القرآني كأنه جسم أيضًا. وهذا من رائع تصوير القرآن في تجسيم المعنويات.

(١٩)العناية)بالتحليل الصوتي (للتعبير القرآني المراد دراسته وتحليله، سواء تعلّق بالصوت المفرد)الفُونيمPhoneme (، كالباء، والميم، والنون، والهاء، أم تعلّق بـ)المقطع (المؤلّف من صوتين أو ثلاثة، وسواء تعلّق بالصوت المفرد، أم بالمركّب، أم بالتعبير، مع ربط الصور الصوتية بالمعاني المختلفة في التعابير القرآنية، مع ضرورة التنبيه على ظاهرة الاستبدال الصوتي بين الوحدات

الصوتية الصغيرة، وهي)الفونيمات(، وأثر ذلك في تحقيق الفروق الدلالية بين كثير من الألفاظ القرآنية المتقاربة الأصوات، ما بين سياق وآخر، كما في: هَزَّ وأَزَّ، وكتَمَ وكَظَمَ، وغَشَّى وغَطَّى.

(٢٠)العناية (بالقراءات القرآنية) التي قُرِئ بها النص الكريم، سواء أكانت مشهورة، قرأ بها السبعة أو العشرة، أم غير مشهورة، وهي التي قرأ بها غيرهم، مع كشف أوجهها اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية، وذلك لتعلّق معنى النص بها، واختلاف بين قراءة وأخرى، أو لكشفها لظواهر اللغة المختلفة، كالهمز في (كُفُؤًا) وتسهيله في (كُفُوًا)، وكالإطباق الصوتي في صاد لفظة) (صِّراط)، وعدمه في سين (السِّراط)، وكالمدّ في (مَالِكِ) والقَصْر في (مَلِك)، إذ معنى (مَلِكِ) أبلغ من معنى (مَالِك)، من حيث إنّ كلَّ مَلِكٍ مالِكٌ، وليس كلُّ مالِكٍ مَلِكًا.

(٢١)العناية بعلوم البلاغة الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع" إذ يتعلّق بالعلم الأول، وهو (علم المعاني) ظواهر تعبيرية كثيرة، كالتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والإيجاز بنوعيه: إيجاز لحذف وإيجاز لقِصَر، فمن الأول حذف المبتدأ من الجملة الاسمية، كما في قوله: ﴿ كِتَبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُه ﴾ ﴿هود:١﴾، ومن الثاني قوله تعالى :﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَـأُولِي الأَلْبَابِ ﴾]البقرة: ١٧٩.[

ومن (علم البيان) ما يتعلّق بالحقيقة والمجاز. فمن المجاز: التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز المرسل، وما إليها. وتنبغي العناية بفنّ (الالتفات) كذلك، إذ هو فنّ رفيع وخاصة في تعبير القرآن، وثيق الارتباط بالمعنى، وذلك بالانتقال من ضمير إلى آخر في السياق، كانتقاله من الغَيبة إلى الخطاب في قوله تعالى :﴿ مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ ﴿آل عمران: ١٧٩﴾، فالتفت بقوله (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) من الغَيبة في الحديث عن المؤمنين إلى الخطاب.

ومن موضوعات (علم البديع)، الطِباق، والجِناس، والتَّوْرِية، والتقابل، وما إليها. فهذه كلها ينبغي على المحلل للنص القرآنيّ أن يعطيَها حقَّها من الدرس والفهم والتحليل والتعليل.

(٢٢)ضرورة بيان العلاقات الدلالية بين الآيات الكريمة، والكشف عن الوشائج التي تربط الجمل والألفاظ والتراكيب، وما يترتب على ذلك من ترابط وتلاؤم معنويّ، بحيث يُرَدّ المتأخر على المتقدّم عند التحليل ويُربَط به معنويًّا.

التحليل على المستوى الدلالي

١- الدلالة الصوتية: تتجلى قيمة الأصوات في صورتها التركيبية ضمن السياقات البليغة كالنص القرآني والشعري والنتاجات الأدبية الراقية ، التي تمتاز بالسمو اللغوي والبلاغة التعبيرية ، ففي هذه النصوص البليغة تُوظَّف الأصوات في خدمة البنية التحتية (الدلالية) بحيث تشكل خيوطا وشيجة بين الطبيعة الفيزياوية للأصوات والأغراض والدلالات التي يُراد التعبير عنها.

وقد اهتم العلماء القدماء بدلالة الأصوات ولاسيما (ابن جني) الذي أجرى موازنات دقيقة بين الأصوات وسماتها الفيزياوية وبيَّنَ الفوارق الدلالية لكل منها ، فهو يميز بين دلالة هذه الثنائيات:

((خضم و قضم، نضح و نضخ ، سعد وصعد ، الوسيلة والوصيلة)).

فيحدد الفوارق الدلالية اللطيفة بين هذه الثنائيات المتغايرة بصوت واحد من خلال تحليل الأصوات المتغايرة فيها ، فيذكر أن(خضم) يستعمل مع أكل المواد الرطبة كالقثاء والبطيخ وغيرهما ، و(قضم) يستعمل مع أكل المواد الصلبة كالشعير ونحوه، لأن (الخاء) لرخاوتها تتناسب مع الأكل الرطب، و(ا لقاف) لصلابتها تلائم اليابس ، وكذلك الحال في(الخاء) و(الحاء) في (نضح و نضخ) فالخاء أقوى من الحاء لذلك استعملت مع فوران المياه الكثيرة والحاء للفوران الخفيف ، وجاء في القران الكريم (فيهما عينان نضاختان) لشدة فوران مياه عيني الجنة ، وكذلك (الصاد) أقوى من (السين) ، لذلك جاءت (ص) في (الصعود) الذي يحتاج إلى استهلاك جهد كبير وطاقة كثيرة ، أما (السعادة) فهي حالة نفسية وانفعالية ، وهي خفة يشعر بها الإنسان، فيتناسب ذلك مع

خفة (السين) في (سعيد) ، ولهذا الضعف جاءت (السين) في (الوسيلة) التي فيها التوسل وال ضعف ، أما (الوصيلة) فتدل على الصلة والتلاحم ، فاحتوت على صوت (الصاد).

وقد تجسدت هذه الدلالة الصوتية الموسيقية الدقيقة في النص القرآني ، إذ جاءت الأصوات المهموسة والاحتكاكية والصفيرية مع وصف أهل الجنة وأهلها، والأصوات الانفجارية والمجهورة والمكررة والمفخمة مع وصف الجحيم وأهل السعير وأحداث الساعة ، ولذلك قال الله تعالى في وصف انهيار الكون وحدوث الواقعة الكبيرة :((كلا إذا دُكت الأرض دكا دكا) ، فالكاف الانفجارية القوية صوَّرت لنا هذه الفاجعة وتتبيَّن هذه الضربات القوية للأرض وتكرارها وتتبعها ، مع تكرار الكاف وقوتها ، وقال تعالى أيضا في وصف الليل وهدوئه ونشاط الناس في النهار وحركتهم (وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا) ، فالسين بهمسها وخفتها تتناسب مع هدوء الليل وظلمته ، والشين بتفشيها وانتشارها تلائم مع حركة النهار وتفشي الناس وانتشارهم على بقاع الأرض للعمل والحصول على الرزق ، ولهذا السبب أيضاً جاءت (الشين) في وصف النمّام الذي يمشي ويُفشي حديث الناس ،كما قال تعالى: ((هماز مشاء بنميم)) والأمثلة على وجود هذا التناسب والتوافق بين الأصوات ودلالاتها كثيرة في القرآن الكريم.

٢- الدلالة البنيوية

تتبين الدلالة البنيوية من التنوعات البنيوية التي تؤديها الهيئات الصرفية في اللغة العربية ، فهذه الهيئات تشكل قوالب خارجية تضم دلالات متنوعة ، بحيث يقابل كل بناء مفهوما دلاليا صرفيا خاصا كما في (فاعل ، مفعول، فعيل، فعّال ، فعال فَعِل، فَعَل ، يفعل.....)فهذه البنى بمنزلة القوالب التي تحيط بمادة الجذر التام لإنتاج أنواع مختلفة من المفردات المعجمية ذات دلالات مختلفة فضلا عن وجود مفارقات دلالية لطيفة ودقيقة بين هذه البنى التي يحتاج استعمالها و إبرازها في السياق إلى التمعن والدقة ، لتحقيق التناسب والانسجام بين الهيئة البنيوية الخارجية والدلالة الداخلية ، ونجد آثار هذه الدراسة (الدلالة الصرفية) في تفسير القرآن الكريم والآيات التي تنوعت بناها

وقواعدها الصرفية بين الاسمية والفعلية ، لتجسيد المفاهيم والأفكار التي يريد النص القرآني أن يرسلها إلى المخاطب، ولذلك اهتم القدماء بتحليل البنى الصرفية وتحديد دلالاتها وتطبيق هذه الدراسة الدلالية على النصوص القرآنية والشعرية ، وبدأت هذه الدراسة عند الخليل وسيبويه ، وتطورت عند ابن جني ولاحقيه ، فهؤلاء ميّزوا صيغة من أخرى لحدوث تغاير في الهيئة الخارجية ، فقالوا، (فَعَلَ) غير (فَعَّل) و (فاعلَ) غير (تفاعلَ)، و (فَعَال) غير (فَعَّال) ، و(مفعول) غير (فعيل) وهكذا دواليك ، الأمر الذي جعلهم أن يخصصوا دلالات دقيقة لكلّ هيئة صرفية معينة ، وهذا ما ثبت في الدراسات الصرفية القديمة، الذي سمي بـ(دلالات الأحرف الزائدة)، وإذا ما استشرفنا آفاق النص القرآني، لوجدنا أن هذه البنى قد وردت وروداً دقيقا دون حدوث أي خلل في التمثيل والتفسير الدلالي ، وكذلك نجد أن بنية (فعيل) تحولت إلى صيغة (فَعَال) في آية أخرى بحسب ما يقتضيه السياق والمقال، نحو قوله تعالى : ((هذا شئ عجيب)) ق /٢ ، وفي سياق آخر جاء ((إن هذا لشئ عُجاب)) ص /٥ فعدل من (عجيب) إلى (عُجاب) ليتدرج في بيان التعجب بحسب قوته ، فالعجب هي المادة الجذرية الأصلية التي استعملت بهيئتين مختلفتين لتؤدي دلالتين مغايرتين انسجاماً مع كل آية وردت فيها هذه الهيئة المناسبة لها ، و(عجيب) أضعف من (عُجاب) لذلك جاء الأول في سياق بيان عجب اعتيادي في قوله تعالى ((بل عجبوا أن جاءَهم مُنذرٌ منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب))،أما الثاني ، فجاء للدلالة على شدة العجب والمبالغة فيه ((أ جعل الآلهة إلها واحداً إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب)).

وفي قوله تعالى ((يُخرِج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي)) نجد أن الله سبحانه وتعالى استعمل الفعل مع (الحي) فقال (يخرج) واستعمل الاسم مع الميت فقال (مخرج) وذلك لأن أبرز صفات الحي الحركة والتجدد، فجاء معه بالصفة الفعلية الدالة على الحركة والتحول والتجدد،ولأن الميت في حالة الخمول والسكون والثبات جاء معه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات ، والنماذج القرآنية على هذه الدلالات البنيوية المتباينة بتباين المواضع القرآنية والمقامات كثيرة، لامجال لذكر كلها.

وكذلك قوله تعالى ((فما اسطاعوا أن يَظهروه وما استطاعوا له نقبا))

الثاني أصعب ولهذا قال: (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) لأنه حديد ممسوك بالنحاس، فصاروا لا يستطيعون ظهوره لعلوه وملاسته، فيما يظهر، ولم يستطيعوا له نقبًا لصلابته وقوته، إذَنْ صار سدًا منيعًا. فقابل الأثقلَ بالأثقلِ، والأخفّ بالأخفِّ.

كما قالَ: (فَمَا اسطاعُوا) أن يَظْهَروهُ بتخفيف (التاء) وهو الصُعود إلَى أعلاه، وما استطاعوا له نَقْبًا، بوجود (التاء) وهو أشقٌ من ذلكَ" فقابلَ كُلًا بما يُناسِبُهُ لفظًا ومعنًى.

فقد ذكر أهل التفسير أن الخضر عليه السلام لما كان في بداية الأمر، ووعد موسى أن يفسر له تلك الأمور التي رآها ولم يستطع الصبر والسكوت عليها، بعد ما أمره أن لا يسأله عن شيء حتى يكون الخضر هو المخبر والمفسر لما يرى موسى، جاءت الصيغة بتستطع في قوله تعالى :سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا }الكهف:٧٨{ ، فكان الإشكال وانتظار حله ثقيلا فناسب التعبير عنه بتستطع، ولما فسر له ما أشكل عليه ووضحه كان التعبير بتسطع أخف ليقابل الأخف بالأخف والأثقل بالأثقل، كما يقول علماء اللغة: الزيادة في المبنى زيادة في المعنى.

وقال ابن كثير في التفسير ..... :ولما فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال: تسطع، وقبل ذلك كان الإشكال قويا ثقيلاً، فقال: سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا. فقابل الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف، كما في قوله تعالى: (فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ) وهو الصعود إلى أعلاه، (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) وهو أشق من ذلك، فقابل كلاً من المعنيين بما يناسبه لفظا.

٣- الدلالة التركيبية:

تشمل بيان البنية الدلالية للجمل سواء أكان ذلك على مستوى الجملة البسيطة أم على مستوى الجمل المعقدة والمترابطة في فضاء النص الكبير ، كالنصوص القرآنية أو القصائد الشعرية ، وتتضمن

الدراسة التركيبية متابعة التغييرات الخارجية المؤدية إلى تغيير البنية الدلالية ، فضلا عن دراسة القواعد المتعلقة بضمان المستوى الصوابي للتركيب ، وهذا يدل على شمولية الدراسة التركيبية للجانب النحوي الخاص ببيان القوانين المؤثرة في تحديد المسار الاستقامي للتركيب ، والبحث عن المفاهيم والرموز الدلالية التي تكمن وراء معاني المفردات ، والوظائف النحوية التي تتجلى في العلاقات السياقية في التركيب ، ولهذا تكون الدراسة التركيبية أشمل من الدراسة النحوية أو القواعدية ، ومن جانب آخر فإن البحث عن الدلالات الماورائية للتراكيب في وجهتها الأصلية والتحويلية كالبحث عن دلالة الانزياحات الطارئة على التراكيب يندرج كل ذلك ضمن ما يسمى ب(اللغة الماورائية) ، ويفهم من ذلك أن الدلالة التركيبية تدرس دلالة التراكيب التوليدية والعلاقات السياقية والوظائف التي تؤديها التراكيب ، وكذلك تدرس دلالة الانزياحات المعروفة بالتحويلات مثل (التقديم والتأخير ، والحذف والإضافة والفصل والوصل ، والإبدال)، وغير ذلك مما عولج في مجال علم المعاني ضمن البلاغة العربية لأن هذه الدراسة المعنوية البلاغية ما هي إلا وجه من أوجه الدلالة التركيبية التي تعمق فيها البلاغيون.

ورسخ أسسها النحويون الأوائل أمثال سيبويه و شيوخه ولاحقيه كابن جني والجرجاني وابن هشام ، فهولاء جميعا ربطوا التراكيب بالدلالات التي تقف ورائها ،وجعلوا آصرة بين مقصدية المخاطِب وموقف المخاطَب ، وهذا ما عبروا عنه بمطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وهذا القول بحد ذاته يلتقي مع أحدث الاتجاهات اللسانية الحديثة وهو (المنهج البراكماتيكي أو التدولي) ولو بحثنا عن المعالجة التركيبية الدلالية في الإرث اللغوي العربي لوجدنا أن القدماء قد درسوا هذه الطروحات والمفاهيم الدلالية التي أصبحت أرضية واسعة للسانيات الحديثة ، فتعاملوا مع التراكيب اللغوية تعاملا تدولياً دلاليا استناداً إلى كيفيات الاستعمال والفهم، فربطوا هذه الأنواع والأصناف التركيبية من(الطلبي والاستفهامي والأمري والتعجبي...إلخ) بالمقام الخارجي والمكونات الفكرية والاجتماعية والنفسية والثقافية والبيئية ، فضلا عن اهتمامهم بثنائية البنية السطحية والتحتية والتغييرات المتبادلة بينهما والدواعي المؤدية إلى إجراء انزياحات على التراكيب وتحويلها إلى هيئات تحويلية متعددة استجابة

لمقتضيات المقام ومقصدية المخاطِب، وقد فُسِّر القرآن الكريم في ضوء هذه الدلالة التركيبية التي شملت السياق القرآني عموما ، فبحث المفسرون عن أسباب النزول والمقامات الخارجية التي ضمت المخاطَبين الذين وُجِّه النص القرآني إليهم ، فتنوعَ بهذه الدلالات والانزياحات ، فعلى سبيل المثال جاء في قوله تعالى:((إياك نعبد وإياك نستعين)) تقديم المفعول على الفعلين، وذلك لإعطاء دلالة التخصيص لأن العبادة والاستعانة لا تكونان الا له وبه ، فهذا الانزياح الموضعي بتقديم المفعول على فعله ، كان بهدف تحقيق هذه الدلالة التركيبية، وفي قوله تعالى: ((وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى)) (يس)فقُدِّم الركن التكميلي (شبه الجملة ،الجار والمجرور) ((من أقصى المدينة) على الفاعل وهو (رجل) لأن المقام يتعلق ببيان تلك المسافة الزمنية والمكانية بين الرسول وبين هذا الرجل الذي جاء إليه من مكان بعيد عن مهبط الوحي ليستجيب للدعوة السماوية ويستسلم، فهذا توبيخ للناس الذين كانوا قريبين من الرسول المرسل ويعيشون في بيئة ويرون معجزاته ، ولم يؤمنوا به ، لكن هذا الرجل مع بعد مكانه فجاء وآمن ، فهذا بيان للمنزلة المرموقة لهذا الرجل عند الله ، أما في سياق إبلاغ موسى عليه السلام بمكيدة فرعون وأعوانه قُدِّم الفاعل على الركن التكميلي ، فقال تعالى: ((وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى))(القصص) لبيان السرعة التي كان عليها هذا الرجل ليصل بأقصر وقت إلى موسى ويبلغه بمؤآمرة فرعون لقتله ، فهذا ما تطلب الاستعجال وعدم التريث ، فجاء الفاعل مقدَّما على بقية العناصر في السياق.

ومثل هذه التحليلات كثيرة في تفسيرات القرآن الكريم، لأن الدلالات التي أراد أن يوضحها الله لعباده كانت متنوعة ومتجددة حسب مواقفهم وأوضاعهم.